ملخص خطبة الجمعة بتاريخ ٢٠٢١/٩/١٧م

يتابع حضره في ذكر الفتوحات في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه:

معركة اليرموك، خرج الروم من دمشق وحمص منهزمين ووصلوا إلى أنطاكية، وهي مدينة على حدود الشام، واستغاثو هرقل أن العرب قد وطأوا الشام كلها، وقد أزمع قيصر في الحقيقة على الخروج من الشام لكن جماعات النصارى كانت تسير إليه مستغيثة من كل مدينة وإقليم، فاشتعلت في صدره نار الغيرة فاستعد بحماس شديد ليوظف قوة إمبراطوريته كلها لمقاومة العرب. تدفقت الجيوش كالسيل وحيثما كان يقع النظر يرى الجيوش منتشرة حول أنطاكية كأسراب الجراد.

ذكر ذلك المصلح الموعود ﷺ فقال:

عندما التقى المسلمون بقوات الروم وتقدّموا في الفتوحات حتى سيطروا على أورشليم.. المركز الديني للمسيحيين.. ثم مضوا قدمًا في فتح البلاد. أراد المسيحيون -لما رأوا أن مركزهم قد وقع تحت سيطرة المسلمين- أن يقوموا بمحاولة أخيرة لإخراج المسلمين من تلك المناطق، فأعلنوا في كل حدب وصوب عن القيام بالجهاد الديني وولّعوا حماسًا في الناس، وأعدوا جيوشًا هائلة لمهاجمة الجيش الإسلامي. وتحسبًا لهجمتهم الشديدة قرر المسلمون الانسحاب المؤقت نظرًا لقلة عددهم مقابل عدد العدو. وكتب قائد الجيوش الإسلامية إلى عمر **رضي الله تعالى عنه أن** العدو بأعداد كثيرة وهائلة أما نحن فبعدد ضئيل أمامه وإن مواجهته بهذا العدد القليل يعني تدميره، فاسمحْ لجيش المسلمين أن ننسحب من أجل ترتيب صفوف الحرب وتضييق جبهة الحرب، ولجمع الجيش في مكان واحد ثم محاربة العدو من هناك. وكتب أيضا بأننا أخذنا الجزية من المناطق المفتوحة، فإن سمحت لنا بالانسحاب من هذه المناطق فماذا تأمرنا بخصوص هذه الأموال.

ردّ عليه عمر أنّ تضييق جبهة الحرب والرجوع قهقرى من أجل جمع قوة الجيش الإسلامي ليس مما يخالف التعاليم الإسلامية، ولكن تذكر بأن الجزية قد أُخذت من أهل هذه المناطق بشرط حمايتهم. وإن خرج الجيش الإسلامي من تلك المناطق فهذا يعني أنه لن يستطيع أن يحمي أهلها، لذا من الضروري ردّ أموالهم التي أُخذت منهم. فلما بلغ أمر عمر **رضي الله تعالى عنه** قائدَ الجيش الإسلامي **حضرة أبو عبيدة بن الجراح**، دعا زعماء المنطقة وتجارهم والرجال الآخرين وردّ عليهم أموالهم وقيل لهم بأن هذه الأموال

قد أُخذت منكم على أن الجيش الإسلامي سيقوم بحمايتكم، ولكن الآن شعرنا بضعف قوتنا أمام العدو فقررنا مؤقتا الانسحاب عن هذه المناطق فلا يسعنا حمايتكم وبالتالي لا يجوز لنا إبقاء هذه الأموال عندنا.

سار أبو عبيدة من دمشق ووصل إلى اليرموك على حدود الأردن وأقام بها. وجاء عمرو بن العاص والتقيا هنالك. وكان هذا المكان أنسب مكان لمتطلبات المعركة. ووصل سعيد بن عامر مع ألف مقاتل، فارتفعت معنويات المسلمين، وأخذوا يعدون عدتهم للحرب بهمة ونشاط. بعد أن وصلهم كتاب حضرة عمر رضي الله تعالى عنه يقول فيه:

"إن عمر يقرئكم السلام ويقول يا أهل الإسلام اصدقوا اللقاء وشدوا عليهم شد الليوث، وشُجّوا هاماتِهم، وليكونوا أهونَ عليكم من الذرّ، فإن قد كنا علمنا أنكم عليهم منصورون. ولا يخيفنّكم كثرتهم، ولا يحزنن الذين لم يلحقوا بكم بعد بسبب الأعداء.

وخرج الروم بكامل عتادهم وكانوا أكثر من مئتي ألف، صفّوا أنفسهم في أربعة وعشرين صفا ووضعوا القساوسة أمام كل صف يحملون الصلبان في أيديهم ليبثوا في أنفسهم الحماس، وعين النصارى الجيوش المتفرقة لمواجهة القادة الذين كانوا مع خالد ولكنهم انهزموا جميعا وإلى هنا تأجلت المعركة في ذلك اليوم. وفي الليل حين رأى الروم أنهم منهزمون جمع أميرهم باهان القادة وقال لهم لقد استلذ العرب بخيرات الشام وثرواته فالأفضل أن نُبعدهم بترغيبهم في المال والذهب بدلا من الحرب فوافق الجميع على هذا الرأي، ولكن مفاوضاتهم مع خالد ابن الوليد رسول قائد جيش المسلمين أبو عبيدة ابن الجراح لم تنجح فالتقى الجيشان ثانية، وكانت معركة صعبة انتهت بنصر المسلمين.

مع أن عدد الجيش كان قليلا لا يزيد عن ثلاثين أو خمسة وثلاثين ألف رجل إلا أنه قد تم اختيارهم من جميع العرب ومن بينهم بصفة خاصة ألفًا من كبار الصحابة الذين رأوا جمال رسول الله ﷺ ونحو من مئة صحابي ممن شهدوا غزوة بدر مع رسول الله ﷺ وكانت قبيلة الأزد من بين القبائل العربية الشهيرة التي لها أكثر من عشرة آلاف وحدها وكان فيهم قادة همدان وخولان ولخم وجذام المشهورين. وكانت إحدى خصائص هذه المعركة أن النساء قد شاركن فيها وحاربن بشجاعة فائقة. وجعلت هند تتقدم وتهجم وتقول: عضدوا الغُلفان بسيوفكم. وقاتلت جويرة ابنة أبي سفيان وأخت معاوية مع جماعة بشجاعة نادرة أيضا مع زوجها وقُتلت في حرب شديدة.

وكان للمقداد صوت كثير العذوبة فتقدم صفوف الجيش وأخذ يتلو سورة الأنفال، وهذه السورة تحث المسلمين على الجهاد.

كان خالد بن الوليد ﷺ على كتيبته في المؤخرة، فإذا به قد اخترق صف العدو مهاجما بشدة، حتى قلب صفوف الأعداء. وحطّم بهجماته قوتهم، حتى اضطروا إلى الانسحاب في نهاية المطاف.

يقول المصلح الموعود ﷺ عن عكرمة:

في معركة اليرموك لما كانت حياة كثير من صحابة الرسول ﷺ مهددة بالخطر، واستشهد المسلمون بأعداد كثيرة، قال قائد الجيوش الإسلامية أبو عبيدة بن الجراح: أريد أن يخرج بعض الشجعان، الذين يمكنهم أن يرعبوا جيش الرومان بتفانيهم والجود بأرواحهم. فتقدم عكرمة وطلب من أبي عبيدة أن يسمح له باختيار بعض الرجال لأنه سيشن هجومًا على قلب جيش العدو ويقتل قائدهم. فشن عكرمة الهجوم مع أربعمئة جندي على قلب جيش العدو، وهاجم أحد من أصحابه قائدَ العدو فأسقطه. كان جيش العدو بمئات الألوف وكان أمامهم أربعمئة مسلم فحسب، لذلك لم تكن المواجهة سهلة. فلما أسقطوا قائدهم تفرّق جيشهم ولكن الأعداء انقضوا على هؤلاء الحفنة من الجنود فاستشهد الجميع إلا قلة قليلة منهم. وكان اثنا عشر منهم قد أصيبوا بجروح خطيرة. فلما تحقق النصر للمسلمين بدأ البحث عن الجرحى وكان عكرمة منهم. فوصل إليه جندي مسلم فوجده في وضْع يرثى له، فقال له: عندي قليل من الماء فاشربه، فنظر عكرمة إلى جانبه فوجد حضرة الفضل بن العباس جريحا، فقال عكرمة لذلك المسلم لا تقبل حميتي أن يموت عطشا أولئك الذين آزروا النبيَّ ﷺ هم وأولادُهم يوم كنت ألدَّ أعدائه، فاسقِه أولا فإنه أحق به مني، فجاء ذلك المسلم إلى الفضل بن العباس لكنه بدوره أشار له إلى جريح آخر أنه أحق به، وهكذا كلما وصل إلى جريح وجَّهه إلى غيره دون أن يشرب، فلما وصل إلى آخِرهم وجده أنه فارق الحياة، فعاد إلى من قبله وكان هو الآخر قد مات حتى وصل إلى عكرمة فوجده قد مات أيضا.

بلغ قيصر خبر الهزيمة وهو في انطاكيا، فتأهب للمسير إلى القسطنطينية فورا. عند الرحيل توجه ناحية الشام وقال: وداعا يا شام.

وكتب أبو عبيدة بشرى النصر وبعثها إلى سيدنا عمر ﷺ، وأرسل سفارة صغيرة بينهم حذيفة بن اليمان. وكان عمر ﷺ لم ينم منذ عدة أيام انتظاراً لخبر معركة اليرموك، وعندما جاءته البشرى خر ساجدا لله تعالى وشكره.